

الفصل الثاني

"حرب القعدة: Sitzkrieg" في الغرب

- ١ -

لم يحدث شيء كثير هناك، لم تطلق رصاصة واحدة. ورجل الشارع الألماني راح ينعته بحرب القعدة Sitzkrieg. وفي الغرب لقبته (بالحرب الزائفة) Phony War. قال الجنرال البريطاني جي. إف. سي. فوللر J. F. C. Faller ها هنا أعظم جيش في العالم الجيش الفرنسي يواجه ما لا يزيد عن ست وعشرين فرقة ألمانية قابضة في مجتمها بلا حراك محتمية بالفولاذ والسمنت المسلح. بينما يقضى على حليف كيشوتي البسالة!^(١)

هل كان الألمان مستغربين؟ كلا على أكثر تقدير. ففي اول تسجيل ليوميات (هالدر) المؤرخة ١٤ آب. نجد رئيس هيئة الأركان يعرض وصفاً مفصلاً للموقف اذا هاجمت ألمانيا الأراضي البولندية معتبراً هجوماً فرنسياً "بعيد الإحتمال جداً" وكان موقناً أن فرنسا لن ترسل جيوشها عبر بلجيكا "ضد رغبة بلجيكا" وكان استنتاجه أن الفرنسيين سيبقون في وضع الدفاع. وقد وجدنا فيما سبق أن هالدر شرع ينظم الخطط في نقل الفرق الألمانية الى الغرب منذ يوم ٧ أيلول عندما ختم على مصير الجيش البولندي.

في تلك الليلة دون نتائج المؤتمر الذي عقده هتلر مع براوختش خلال ساعات العصر: "العمليات في الغرب ليست واضحة بعد. بعض الدلائل تشير أن النية منصرفه فعلاً عن الشروع في الحرب هناك. الحكومة الفرنسية تفتقر الى الإقدام البطولي. كذلك من التلميح البريطاني الأول، ذي الإتجاه الرزين".

بعدها بيومين اصدر هتلر أمره التوجيهي الثالث لادارة دفة الحرب، وأمر فيه أن تتخذ الوسائل لنقل وحدات الجيش والقوة الجوية من بولندا إلى الغرب لا لأجل خوض الحرب "حتى بعد فتح الجبهة وبدء بريطانيا العظمى بالأعمال العدوانية المشوية بالتردد... وفرنسا، أيضاً، إن أمري الواضح يجب أن يؤخذ في كل الحالات التالية: كل مرة تجتاز القوات البرية [او] طائراتنا، الحدود الغربية [و] لكل غارة جوية على بريطانيا^(٢).

١- أسر اللواء فوللر: "الحرب العظمى الثانية" ص ٥٥. اقتسبت من "الربع الأول ص ٣٤٣".

٢- نص الأمر التوجيهي رقم (٣) وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج ٨، ص ٤١.

ماذا وعدت فرنسا وإنجلترا أن تفعلوا لپولندا في حالة الهجوم عليها؟ الضمان البريطاني كان عاماً. إلا أن الضمان الفرنسي كان دقيقاً. وهو مفصل في الميثاق العسكري الفرنسي-الپولندي المؤرخ ١٩ أيار ١٩٣٩ وفيه اتفق أن الفرنسيين سيقومون "بتوجيه هجمات متتالية ضد أهداف محدودة، بعد اليوم الثالث من إعلان النفيير العام الموافق (١) أيلول، واكثر من هذا أتفق "أن تقوم فرنسا بعملية هجوم ضد ألمانيا بكل قواتها العسكرية، حالما يتوجه الجهد الرئيس الألماني ضد پولندا، في اليوم الخامس عشر بعد اول يوم من النفيير العام الفرنسي" وعندما سأل نائب رئيس هيئة الأركان الپولندي العقيد ياكلينز Jaklinez، كم سيتوفر لفرنسا من الفرق للقيام بهجوم كبير، اجابه الجنرال گاملان أنه سيكون بين خمس وثلاثين فرقة وثمان وثلاثين تقريباً^(٣). لكن الغزو الألماني على پولندا بات متوقفاً في كل لحظة بعد يوم ٢٣ آب، فماكان من الجنرال الأكبر الفرنسي الكثير التردد إلا أن أخبر حكومته كما تقدم ذكره: بأنه لايتمكن على الأرجح من شن هجوم جدي "بأقل من سنتين تقريباً... في ١٩٤١-١٩٤٢". شريطة أن تنجد فرنسا بالقوات البريطانية والمهمات العسكرية الأمريكية".

والثابت ان بريطانيا في أولى أسابيع الحرب لم يكن لديها ماترسله الى فرنسا من الجنود الا القليل التافه. ولم تستطع انزال أكثر من أربع فرق بعد مرور ثلاثة أسابيع على انتهاء القتال في پولندا (١١ تشرين الاول) بلغ مقدارها ١٥٨٠٠٠ رجل ووصفها چرچل "بالقوة الرمزية" ولاحظ الجنرال موللر أن أول اصابة للبريطانيين (مقتل نائب عريف بريطاني في دورية) حصلت في ٩ تشرين الأول وعلق يقول عنها: "انها حرب خلت تماماً من قطرة دم، لم يشهد مثلها العالم منذ معركتي مولينلا Molinella وزاگونارا Zagonara^(٤).

وخلافاً لذلك نرى ان الجنرالات الألمان قد اتفقوا في شهاداتهم بنورمبرگ بأن تلكؤ الحلفاء عن الهجوم في الغرب أثناء ماكانت معركة پولندا ناشية، ضيّع عليهم فرصة ذهبية. " قال الجنرال هالدر ما كان نجاحنا في پولندا ممكناً إلا بترصين جبهتنا الغربية ولو تبين الفرنسيون المنطق في الموقف واستفادوا من انشغال القوات الألمانية في پولندا لتمكنوا من اجتياح الراين دون ان نستطيع صداهم، ولهددوا منطقة الروهر التي هي العامل الحاسم الأكبر في إمكان إستمرار ألمانيا في حربها^(٥).

٣- نامبير المرجع السالف الص ٤٥٩ - ٤٦٠. اقتبس من نص المحضر الفرنسي.

٤- في ٩ تشرين الأول سافر هذا المؤلف بالقطار الى ضفاف الراين الشرقية وقطع مائة ميل على طول الحدود الفرنسية-الألمانية وراقب مايجري فكتب في مفكرته: "لا أثر للحرب هنا. لقد اعلمني موظفو القطار انه لم تطلق رصاصة واحدة في هذه الجبهة منذ ان بدأت الحرب... كان بإمكاننا مشاهدة خنادق الفرنسيين وفي مواضع عديدة وجدنا سترأ عظيمة وخلفها الفرنسيون يقومون ببناء الاستحكامات. وهذه الصورة نجدها طبق الأصل في الجانب الألماني... كان الجنود منصرفين الى اعمالهم في المعسكرين دون استتار وعلى مرأى من الآخرين على الجانب المقابل، وكان الألمان يحملون مدافعهم وذخائرهم على طول خط السكة الحديد فلابتكف الفرنسيون إقلاق راحتهم... ما أغرب هذه الحرب! (يوميات برلين ص ٢٣٤).

٥- شهادة هالدر للمتهمين في محاكمة "قضية الوزراء" جلسة ٩-١٠ أيلول ١٩٤٨ - نورمبرگ محاكمات مجرمي الحرب... ج ٢، ص ١٠٨٦.

"[قال الجنرال يودل]... إن لم نُصَبْ بإنهيار في عام ١٩٣٩ فالفضل يعود إلى أن مائة وعشر فرق إنجليزية وفرنسية في الغرب كانت تقف عاطلة عن العمل تماماً بمواجهة ثلاث وعشرين فرقة ألمانية فحسب أثناء الحرب البولندية^(٦).

وزاد الجنرال كايتل رئيس (ق.ع.ق.م) الى هذه الشهادة مايلي: "توقعنا دائماً نحن العسكريين هجوماً فرنسياً أثناء معركة بولندا، وعرتنا دهشة بالغة لأن ما توقعناه لم يحصل. إن الهجوم الفرنسي لم يكن يقف في وجهه اذ ذاك غير سترٍ عسكري، ولم يكن لدينا خط دفاع حقيقي^(٧).

فلماذا لم يهاجم الجيش الفرنسي اذن. وهو الوعد الذي قطعه الجنرال غاملان والحكومة الفرنسية خطياً للقيام به وكان ضامناً في ذلك الحين تفوقاً ساحقاً على قوات الغرب الألمانية (لم تنزل الشواطئ الفرنسية اول فرقتين بريطانيتين إلا بعد الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول).

هناك عدة أسباب: روح الاندحارية المتفشية في القيادة العليا الفرنسية والحكومة والشعب. وذكريات الدم الغزير الذي اراقه الفرنسيون في الحرب العامة الأولى وعزم فرنسا على ألا تعاني مثل هذه المجازر مرة أخرى إن امكن اجتنابها. وإن الإدراك السائد في اواسط أيلول بأن الهزيمة النكراء التي حلت بالجيش البولندي ستمكن الألمان في وقت قصير من نقل قوات عظيمة الى الغرب، وبهذا قضت على اي فكرة بالمبادأة الهجومية الفرنسية، ثم هناك الخوف من التفوق الألماني في السلاح، وفي الجو. والواقع أن الحكومة الفرنسية أصرت من البداية بألا تقصف القوة الجوية البريطانية أهدافاً في ألمانيا خوفاً من الرد عليها بعقوبات ضد مصانع فرنسا وإن كان هجوماً جويماً عاماً على الروهر قلب الرايخ الصناعي، قد يلحق الكارثة العظمى بالألمان. وكان هذا العمل مصدر قلق الجنرالات الألمان الوحيد في شهر أيلول كما أقر عدد كبير منهم.

بالدرجة الأساسية، نجد أحسن جواب في إحجام فرنسا عن مهاجمة ألمانيا، في قول چرچل: "هذه المعركة خسرتها قبل سنوات^(٨)". "في مونيخ ١٩٣٨، في أيام إعادة إحتلال الراين ١٩٣٦، وقبلها بسنة واحدة عندما اعلن هتلر التجنيد الاجباري تحدياً لفرساي. إن الثمن المؤسف الذي دفعه الحلفاء لتلكوهم في العمل، استحق عليهم دفعه اليوم وإن بدا ان التفكير كان يسود اوساط باريس ولندن هو إمكان إجتناوب الدفع يمكن اجتنابه بالهدوء وعدم العمل.

لكن كان ثم عمل في البحر.

كان الأسطول الألماني قد أوثق كتاناه وجُرد من حريته العمل مثل جيش الغرب ولم يغرق خلال الأسبوع الأول ومن بدء العمليات غير احدى عشرة سفينة بريطانية بلغت حمولتها ٥٩٥, ٦٤ طناً، وهو يقارب نصف المقدار الأسبوعي للسفن الغارقة في ذروة حرب الغواصات عام ١٩١٧ (نيسان).

٦- شهادة (يودل) في دفاعه عن نفسه بتاريخ ٤ حزيران ١٩٤٦ (محاكمة مجرمي الحرب الكبار) ج١٥، ص ٣٥٠.

٧- شهادة كايتل في دفاعه عن نفسه بتاريخ ٤ نيسان ١٩٤٦ في نورمبرگ، المرجع السالف، ج ١٠، ص ٥١٩.

٨ - چرچل "تجمع العاصفة" ص ٤٧٨.

عندما وصلت بريطانيا العظمى إلى شفا الكارثة. وبعدها أخذت الخسائر البريطانية تتناقص فنزلت إلى ٥٣,٥٦١ طنناً في الأسبوع التالي ثم هبطت إلى ١٢,٧٥٠ طنناً خلال الأسبوع الثالث وأصبحت ٤,٦٤٦ طنناً فقط في الأسبوع الرابع - وبذلك بلغ ما أغرق من سفن خلال أيلول، ستاً وعشرين سفينة حمولتها ١٣٥,٥٥٢ طنناً اغرقتها الغواصات و٤٨٨,١٦ طنناً (ثلاث سفن) غرقت بفعل الألغام^(٩).

هناك سبب غير معروف للبريطانيين - لهذا الانخفاض الحاد في الخسائر. وفي ٧ أيلول جرى مؤتمر طويل بين الأميرال ريدر وهتلر. وبدافع من فرحة الغامر بانتصارات بولندا الأولى واحجام الفرنسيين عن الهجوم في الغرب أمر الأسطول أن يتباطأ. ففرنسا كانت تظهر "ضبط نفس سياسي وعسكري" والبريطانيون "مترددون" وتقرر على ضوء هذا الموقف أن لا تتعرض الغواصات في الاطلنطي لأية باخرة ركاب بصورة باتّة والامتناع بصورة مطلقة عن مهاجمة السفن الفرنسية مهما كانت الأسباب وان بارجستي الجيب (گراف شبي) و(دويچلاندي) في جنوب الاطلنطي يجب أن تسحب إلى محطة (انتظارهما) في الوقت الحاضر. ولاحظ (ريدر) في يومياته "أن الخطة العامة ستكون ممارسة التريث حتى يزداد الموقف السياسي في الغرب وضوحاً ويقتضي لذلك أسبوع من الزمن"^(١٠).

-٢-

إغراق السفينة "آثينيا"

هناك قرار آخر اتفق عليه (هتلر ورايدر) في إجتماع ٧ أيلول. وذكر الأميرال في يومياته: "لن تبذل أية محاولة لحل قضية (آثينيا) حتى تعود الغواصات إلى قواعدها".

ذكرنا أن الحرب في البحر بدأت بعد عشر ساعات من إعلان بريطانيا الحرب. عندما ضربت السفينة (آثينيا) المكتنزة بألف وأربعمئة راكب بطوربيد دون أن يعطى لها إنذار في الساعة التاسعة من مساء ٣ أيلول وهي على بعد زهاء مائتي ميل غرب (هبرايديس) فغرق ١١٢ نفساً منهم ٢٨

٩- كشف چرچل (الذي كان امير البحر الأول -وزير البحرية) الأرقام الكلية لمجلس العموم في ٢٦ أيلول. وهو يثبت الأرقام الرسمية المنقحة في مذكراته. كذلك اعلم مجلس العموم أن ست او سبع غواصات قد تم اغراقها، لكنه عاد في مذكراته فأورد الرقم الحقيقي لما اغرق من الغواصات، وهو اثنتان فقط. وتمتاز خطبة چرچل بحكاية شيقية. قص فيها كيف ان قائد احد الغواصات قد ارسل اليه شخصياً إشارة لاسلكية بنبه فيها بموقع سفينة بريطانية قد ضربها بالطوربيد وهي تغرق وناشده ان يبعث بفرق إنقاذ قال چرچل: "كنت حائراً إلى اي عنوان أوجه رسالتي، وعلى اية حال فهو الآن بين يدينا. إلا انه لم يقع اسيراً كما قال لأن المؤلف جلس معه في مقابلة اذاعية لأمريكا.

في برلين بعد يومين من خطبة چرچل. فابرز الكابتن هيرت شولتز Herbert Schultze من سجل غواصته نص برقيته إلى چرچل [انظر چرچل: تجمع العاصفة، الص ٤٣٦-٤٣٧، يوميات برلين الص ٢٢٥-٢٢٧].

١٠- مؤتمرات الزعيم في الشؤون البحرية ١٩٣٩ الص ١٦-١٧.

أمريكياً. ودققت وزارة الدعاية الألمانية التقارير الأولى من لندن بالسؤال من قيادة الأسطول العليا فأجيبت لا يوجد غواصات في تلك الأنحاء وانكرت انكاراً قاطعاً اغراق الألمان تلك السفينة. كانت هذه الكارثة محرجةً جداً لهتلر وقيادة الأسطول ولم يصدقا بالاول التقارير البريطانية فقد زد كل قادة الغواصات بأوامر مشددة تقضي بمراعاة نصوص موثيق لاهاي بدقة، وهي تحظر مهاجمة السفينة بدون إنذار. ولما كانت الغواصات كلها لاتستخدم راديواتها في الإرسال فلم تكن هناك وسيلة سريعة للتعرف على ما حصل^(١١). ولم يمنع ذلك الصحافة النازية الموجهة من اتهام البريطانيين خلال يومين، بأنهم ضربوا سفينتهم بطوربيدهم إستفزازاً للولايات المتحدة وتحريضاً لها على دخول الحرب.

والواقع أن قلهلمشتراسه كانت قلقة لرد الفعل الأمريكي ازاء كارثة سببت موت (٢٨) مواطناً أمريكياً وفي اليوم التالي من الحادثة استقدم (فايسيكير) القائم بالأعمال الأمريكي ألكساندر كرك Alexander Kirk وأكد له أنه لم يكن هناك قطعة بحرية ألمانية في الجوار وانكر أن يكون ذلك من عمل غواصة ألمانية. وذكر (فايسيكير) في شهادته أمام محكمة نورمبرگ أنه قصد (رايدر) وذكره كيف أن اغراق الألمان باخرة الركاب لوزيتانيا Lusitania في الحرب العظمى الأولى كان من جملة الأسباب التي دفعت بأمريكا الى الحرب. وأكد عليه أن "بيدل المستحيل" لاجتناب إستفزاز الولايات المتحدة. فوثقه الأميرال بأن "الغواصات الألمانية لم تقم بالعمل البتة"^(١٢).

وبتحريض ريبنترود دعا الأميرال (رايدر) الملحق البحري الأمريكي لزيارته في ١٦ أيلول، وابلغه عن تقارير وصلته من كل الغواصات "كانت نتيجتها أنه ثبت بما لا يقبل الشك أن (آئينيا) لم تضرب بطوربيد ألماني" وطلب منه إبلاغ حكومته بذلك. ففعل الملحق فوراً^(١٣). لم يتكلم الأميرال الأكبر بالحقيقة كلها. إذ لم يعد كل الغواصات التي كانت في عرض البحر منذ ٣ أيلول الى موانيها ومن بينها الغواصة (و- ٣٠) التي يقودها النقيب لمپ Oberleutnant Lemp فهي لم تصل قاعدتها حتى ٢٧ أيلول، فاستقبلها الأميرال كارل دونتز Karl Doenitz قائد سلاح الغواصات، ووصف بعد سنوات تلك المقابلة أمام محكمة نورمبرگ، وكشف أخيراً الحقائق عن غرق السفينة آئينيا.

"قابلت القبطان النقيب لمپ على رصيف (قلهلمسهافن) والغواصة تدخل الميناء وطلب أن أسمح له بالكلام في خلوة. وشعرت حالاً أنه محزون للغاية وبادرني حالاً بالقول أنه يظن بأنه المسؤول عن إغراق (آئينيا) في منطقة القنال الشمالي. لقد كان يترصد بدقة شديدة بعض البواخر التجارية المسلحة في

١١- في اليوم التالي (٤ أيلول) ارسل أمر الى كل الغواصات برقية "بأمر الزعيم، لاتنفذ اية عملية ضد بواخر الركاب مهما كانت الدواعي، حتى وان كانت محروسة".

١٢- مذكرة (فايسيكير) عن حديثه مع كيرك. وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٧، الص ٣-٤. شهادته في نورمبرگ عن حديثه مع (رايدر) في "محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج١٤، ص ٢٧٨.

١٣- الظاهر ان رسالة الملحق العسكري الى واشنطن لم تكن بالجفرة. فقد ثم العثور على نسخة منها في الوثائق البحرية المبرزة في نورمبرگ. (كذلك انظر المرجع السالف: ج٣٥، الص ٥٢٧-٥٢٩) وثائق النازيين رقم ٨٠٤-D الوثيقة تتضمن برقية الملحق العسكري ومذكرات رايدر عن إجتماعه بهتلر).

المداخل المؤدية الى الجزر البريطانية تنفيذاً لتعليماتي السابقة. وضرب سفينة علم فيما بعد انها (أثينيا) من الإذاعات اللاسلكية في حين كان يظن فريسته باخرة تجارية مسلحة تقوم بالدورية... فأرسلت (لمب) حلالاً بالطائرة ليتقدم بتقريره إلى هيئة أركان الأسطول (S.K.L) في برلين وفي الوقت نفسه أمرت بالسرية التامة كإجراء مؤقت. وبعدها في اليوم نفسه أو في صباح اليوم التالي الباكر وصلني أمر من Kopitaen zur See



:Fricke

هتلر والأميرال دونتز

١- القضية يجب أن تبقى سراً مكتوماً.

٢- ان القيادة العليا للأسطول (OKM) ترى أن احالة القبطان الى المجلس العسكري غير ضرورية لأنه تصرف بحسن نية.

٣- التفسير السياسي ستضطلع به القيادة العليا للأسطول.

ولم أشارك بأي شيء في الأحداث السياسية التي تضمنت ادعاء (الزعيم) أن الغواصات لم تغرق (الأثينيا)^(١٤).

لكن (دوينتز) الذي ظل شاكاً في الأمر من المبدأ، ولولا ذلك لما خرج الى الرصيف لإستقبال الغواصة (و-٣٠) العائدة، كان له في الواقع يد في تغيير وقوعات سجل الغواصة ويوميياته الخاصة حتى يشطب كل دليل اثبات للحقيقة. وفي الواقع انه أمر هو بنفسه (كما أقر في نورمبرغ) أن يحذف أي تنويه بأثينيا من سجل وقوعات الغواصة (و-٣٠) وشطبها من دفتر يومياته. وحلف ملاحي الغواصة أيماناً مغلظة للمحافظة على السر^(١٥).

إن قيادات الدول العليا العسكرية كافة لاشك تحتفظ بحقائق واسرار في خزاناتها طوال مدة الحرب، وإن اصرار هتلر (كما شهد رايدر في نورمبرغ) كان مفهوماً إن لم نقل مستحسناً أن يبقى

١٤- شهادة (دوينتز) محللاً في نورمبرغ (مؤامرة النازيين...) ج٧، الص ١١٤-١١٥.

١٥- نقل الضباط ومن بينهم (لمب) وبعض الملاحين الى الغواصة (و-١١٠) وغرق فيها في ٩ أيار ١٩٤١. وجرح واحد من بحارتها بنار الطائرات بعد أيام قليلة من غرق (أثينيا) فأنزل في ريكيافيك Reykjavik بإيسلندا، بسرية تامة وبعدها أخذ الى معسكر أسرى الحرب في كندا وبعد انتهاء الحرب وقع على شهادة اقرار بالوقائع. ويظهر ان الألمان كانوا يخشون من افشائه السر، لكنه لم يفعل حتى انتهاء الحرب، المرجع السالف الص ١٥٦-١٥٨.

أمر إغراق (آثينيا) سراً. وبخاصة لأن قيادة الأسطول كانت حسنة النية ومخلصة أولاً بانكارها مسؤولية الألمان وثانياً لأن الإقرار بها فيما بعد محرّج جداً ومخجل. الا أن هتلر لم يقف عند هذا الحد. ففي مساء الأحد الموافق ٢٢ تشرين الأول وقف الدكتور غوبلز وزير الدعاية بنفسه خطيباً في دار الإذاعة (المؤلف يذكر ذلك جيداً) وراح يتهم چرچل بأنه هو الذي أوعز بإغراق (آثينيا). وفي اليوم التالي خرجت الفولكشر بيوباختر على قرائها بقصة تحتل الصحيفة الأولى منها معنونة بخط عريض: "چرچل يغرق آثينيا"! وذكرت أن اميرال البحر الأول قد وضع قنبلة موقوتة في قاع السفينة. وفي نورمبرگ ثبت أن هتلر أمر شخصياً بالإذاعة والمقال. وأن (رايدر ودوينتز) وفايسبكر كانوا مستائين جداً من هذه الفرية الشنعاء، وإن لم يجسروا على القيام بعملٍ ضدها^(١٦).

هذا الخور الذي كان يبيده أمراء البحر، والمهيمن الأكبر على وزارة الخارجية خصم النازية العتيدي الى جانب مساهمة الجنرالات التامة فيه كلما تفجرت ينابيع شيطانية سيد الحرب النازي. كان سيؤدي إلى أن تكتب أسود صفحة في التاريخ الألماني.

-٣-

هتلر يعرض السلام

كتبت في مفكرتي بتاريخ ٢٠ أيلول: "هذه الليلة الصحافة تتكلم بصراحة عن السلم، كل الألمان الذين تحدثت اليهم اليوم، واثقون أتم الثقة أن السلم سيعود خلال شهر، وهم منتعشو القلوب." في عصر اليوم السابق، سمعت خطاب هتلر في القاعة الذهبية المزخرفة بالدانزگ وهي اول خطبة له منذ خطابه في الرايخشتاغ بتاريخ (١) أيلول الذي افتتح به الحرب. ومع أنه كان غاضباً لاضطراره إلى القائه هنا لا في (وارشو) التي ظلت حاميتها الى ذلك الحين صامدة في وجه الغزاة ببسالة خارقة. وكان ينفث سماً زعافاً كلما ذكر بريطانيا العظمى، إلا أنه لمح تلميحاً طفيفاً الى السلم. قال "ليس لدي مطامع عسكرية في بريطانيا وفرنسا، اني لأشفق على الفرنسي پوالو poilu (لقب الجندي الفرنسي) فهو لا يدري لماذا يقاتل وفي سبيل ماذا" وناشد الله تعالى "الذي بارك الآن في سلاحنا، أن يعطي الناس الآخرين فهماً في عدم جدوى الحرب... وأن يتفكروا في نعم السلم".

في ٢٦ أيلول اي قبل سقوط وارشو بيوم واحد شنت الصحافة الألمانية والاذاعة حملة سلم واسعة وكانت النعمة كما دونت في مفكرتي "لماذا تريد فرنسا وبريطانيا القتال الآن؟ ليس ثم ما يدعو الي

١٦- شهادة رايدر في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) ج ١٤، ص ٧٨. شهادة فايسبكر. المرجع السالف الص ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٩٣. وشهادة هانس فريتشه وهو موظف كبير في وزارة الدعاية ومتهم مبرأ في المحاكمة. المرجع السالف، ج ١٧، الص ١٩١ و ٢٣٤-٢٣٥. وقالت الفولكشر بيوباختر في (مؤامرة النازيين... ج ٥، ص ١٠٠٨، وثائق نورمبرگ ٣٢٦٠ - PS عن اذاعة غوبلز، انظر يوميات برلين ص ٢٣٨.

القتال. وألمانيا لاتطمع من الغرب بشيء".

وبعدها بيومين وفي أثناء ما كانت روسيا تبتلع حصتها من بولندا انضمت الى حملة السلم والى جانب التوقيع على معاهدة الحدود والصداقة السوفيتية الألمانية بپروتوكولاتها السرية التي قسمت أوروبا الشرقية، وقع مولوتوف وريبنتراب في ٢٨ أيلول بياناً طناناً حول السلم جاء فيه.

"ان حكومتي ألمانيا وروسيا بعد أن... سوّتا تسوية تامة للمشاكل التي نشأت عن تقويض دولة بولندا وخلقتنا أساساً مكيناً لسلم دائم في أوروبا الشرقية. تعربان معاً عن إيمانهما بأن انتهاء حالة الحرب بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا سيخدم المصالح الحقيقية لكل الشعوب. ولذلك فان الحكومتين ستوجهان جهودهما المشتركة... الى بلوغ هذا الهدف باسرع مايمكن فان بقيت جهود الحكومتين عقيمة وغير مثمرة في هذا الباب. فإن ذلك يثبت مسؤولية فرنسا وإنجلترا في إستمرار الحرب..."

هل اراد هتلر السلم؟ أو هل أراد مواصلة الحرب وبمساندة من السوفييت مسؤولية إستمرارها إلى عاتق الحلفاء الغربيين؟ ولعله لم يعرف هو نفسه وإن كان متأكداً الى حد ما.

في السادس والعشرين من أيلول تحدث حديثاً طويلاً مع داليروس الذي لم يفقد بعد حماسته في اطلاب السلم. فقبل يومين التقى بصديقه القديم (اوغليفي فوريس) باوسلو وكان هذا المستشار بالسفارة البريطانية في برلين قد عين في مثل وظيفته بالمفوضية البريطانية في النرويج. وتكشف مذكرة سرية دوّنها الدكتور شميدت^(١٧) ان داليروس ابلغ هتلر أن فوريس أكد له "رغبة الحكومة البريطانية في السلم والمسألة الوحيدة هي: كيف يخرج البريطانيون منها بماء الوجه؟ اجاب هتلر "إن اراد البريطانيون السلم فسيعطى لهم في غضون أسبوعين - دون أن يفقد ماء الوجه" وزاد يقول:

والذي ينبغي عليهم عمله هو القناعة بأن "بولندا لن تعود الى الحياة ثانية" وفيما خلا ذلك انه مستعد إلى تقديم الضمانة على بقاء الوضع الراهن staus que "لبقية أوروبا" وبضمنها ضمانات لبريطانيا وفرنسا والأراضي المنخفضة ثم تلا ذلك حديث حول كيفية إدارة أحداث السلم. فاقترح هتلر أن يقوم موسوليني بها. ورأى (داليروس) ان ملكة هولندا قد تكون اكثر "حياداً" واقترح (گورنگ) الحاضر أن يلتقي ممثلون عن بريطانيا وألمانيا اولاً في هولندا وبعدها اذا حققوا نجاحاً تدعو الملكة الحكومتين الى محادثات هدنة. ويبيّن هتلر عدة مرات شكه في "رغبة البريطانيين بالسلم". وأخيراً إتفق الجميع على إقتراح السويدي بأن "يذهب إلى إنجلترا في اليوم التالي حتى يرسل مجلساته إلى الجهة المعنية". وقال له هتلر مودعاً "يمكن البريطانيين أن ينالوا السلم لو شاؤوا لكن عليهم ان يعجلو به".

كان هذا وجهاً واحداً من وجوه تفكير هتلر، الا أنه أعرب عن وجه آخر لجنرالاته في يوم ٢٧ أيلول وهو اليوم التالي لحديثه مع داليروس وتأكيده على إستعداده لاحلال السلم بينه وبين بريطانيا. استدعى القادة العامين (للغيرماخت) الى المستشارية وأبلغهم بقراره "الهجوم في الغرب باسرع

١٧- محضر شميدت حول الحديث "وثائق وزارة الخارجية الألمانية" ج٨، الص ١٤٠-١٤٥.

ما يمكن، طالما لم يكن الجيش الأنكلو-فرنسي مستعداً" وبحسب رواية براوختش انه عين يوم ١٢ تشرين الثاني تاريخاً لبدء الهجوم^(١٨). ولا شك أن هتلر اطلق هذا الموعد مسلحاً بنبأ سقوط (وارشو) أخيراً. ولعله ظن ان في امكانه اخضاع فرنسا على الأقل كما فعل ببولندا وبالسهولة نفسها، رغم ان هالدركتب في يومياته بعد يومين أنه "شرح" للزعيم "أن الأسلوب الذي طبق في معركة بولندا لا يصلح للغرب ولا جدوى منه ضد جيش حسن العدة والتنظيم".

وربما كان تشييانو خبير من غصص في أعماق أفكار هتلر أثناء حديث طويل معه في دار المستشارية بتاريخ (١) تشرين الأول. إن وزير الخارجية الإيطالي الشاب الذي بات الآن مشتمراً تماماً من الألمان مع اضطراره إلى المحافظة على المظاهر، وجد الزعيم شديد الثقة. وذكر أن عينيه "كانتا تومضان ببريق الحماسة كلما تحدث عن أساليبه ووسائله في القتال" أثناء شرحه خطط المستقبل. وكتب الضيف الإيطالي ملخصاً انطباعاته:

"... واليوم، ربما كان السلم الوطيد هدفا ما يزال يداعب مخيلة هتلر بعد خوضه حرباً عظيمة. لكن إن ألماته هذه الغاية الى التضحية بأقل مما يعده ثمرة نصره المشروعة، فهو يفضل المعركة على السلم ألف مرة"^(١٩)

أما عندي أنا، حين كنت جالساً في الرايخشتاغ الذي إلتأم في ظهر ٦ تشرين الأول مصغياً الى هتلر وهو يردد نداء السلم، فقد بدا لي الأمر كاسطوانة حاك عتيقة أعيدت إدارتها للمرة الخامسة أو السادسة. كم سمعته من هذا المنبر نفسه يخطب بعد كل نصرٍ باللهجة التي كسيت بمظاهر الصدق والإخلاص - ويقترح سلماً شريفاً عادلاً كما يبدو للسامع إن غض النظر عن ضحيته الأخيرة. وقد فعل مثل هذا في يوم الخريف المشمس اللطيف هذا بفصاحته المعهودة وغطرسته المألوفة. وكانت خطبة طويلة - واحدة من أطول خطبه الجماهيرية التي ألقاها في حياته. وبعد أن شارف الختام على أثر فراغه من ساعة كاملة في تشويه للتاريخ والتباهي بمآثر ألمانيا العسكرية في بولندا "هذه الدولة القذرة" بلغ أخيراً الى مقترحاته للسلم وأسبابه له:

"كان جهدي الرئيس منصباً على تنقية علاقاتنا بفرنسا من كل أثر لسوء النية وجعلها طيبة مفيدة للشعبين... ليس لألمانيا أية مطالب عند فرنسا... لقد ابيت حتى التنويه بمشكلة الالزاس واللورين... لقد اعلمت دوماً لفرنسا رغبتني في دفن أحقادنا القديمة الى الأبد وتحقيق الصفاء بين هذين الشعبين ذوي الماضي المجيد..."

١٨- شهادة براوختش في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج ٢٠، ص ٥٧٣) وتؤيد هذا المقتبس ملاحظة في يوميات (ق.ع.ق.م).

١٩- لم يشارك موسوليني ثقة هتلر بالنصر عندما أبلغه تشييانو بالحديث وكان يعتقد ان الفرنسيين "سيصمدون... لماذا نخفي هذه الحقيقة؟" وهو ما دوته تشييانو في يومياته المؤرخه ٣ تشرين الأول -وقال ايضاً "انه [اي موسوليني] حانق بعض الشيء لبروز إسم هتلر فجأة وذبوع صبيته" (يومياته ص ١٥٥) ويومياته ايضاً الص ١٥٤-١٥٥، أوراق تشييانو الدبلوماسية الص ٣٠٩-٣١٦.

وبريطانيا؟

"لقد اوقفت جهداً لا يقل عن هذا لتحقيق تفاهم أنكلو-ألماني لا بل اكثر من ذلك - لتحقيق صداقة أنكلو-ألمانية. لم اعمل في اي زمان او مكان ضد المصالح البريطانية... وانا اعتقد الى اليوم بامكان اشاعة سلم حقيقي في أوروبا وفي العالم اجمع إن توصلت ألمانيا وإنكلترا الى تفاهم. والسلم؟

ما هو الهدف من الحرب في الغرب؟ لإعادة بولندا؟ إن بولندا معاهدة فرساي، لن تقوم لها قائمة بعد... ومسألة إعادة دولة بولندية، هي مشكلة لا تحلها الحرب في الغرب. بل تتوقف على روسيا وألمانيا مطلقاً... من السخف والعبث ان يقتل ملايين الرجال وتدمر أموال الملايين لإعادة بناء دولة حكم القدر عليها أن تجهض يوم ميلادها وتنبتاً بمصيرها هذا كل من ليس بولندياً.

ما هي الأسباب الأخرى التي تحول دون السلام؟

إن وجب خوض هذه الحرب في سبيل منح ألمانيا نظاماً جديداً... فإن تضحية الملايين من ارواح البشر سيكون عملاً عقيماً لا طائل تحته... كلا ان هذه الحرب في الغرب لا يمكن أن تحل اي مشكلة. هناك مشاكل ينبغي حلها. وراح هتلر يتلو قائمة كاملة بها: "إقامة دولة بولندية جديدة" (تم الإتفاق على ألا يكون وجود لها بين الألمان والروس) و"حل وتسوية مشكلة اليهود" والمستعمرات لألمانيا، وتنشيط التجارة الدولية، "وسلم مضمون غير مشروط". وتحديد السلاح و"تنظيم الحرب الجوية والغاز السام وحرب الغواصات الخ... " وتسوية مشكلة الاقليات في أوروبا. و"لتحقيق هذه الاهداف الجليلة" اقترح هتلر مؤتمراً للدول الأوروبية الكبرى "بعد ان تسبقه إستعدادات تامة".

"[وواصل القول] من المستحيل أن يقوم هذا المؤتمر الذي سيقدر مصير القارة الأوروبية سنين عديدة بإجراء مداولاته، تحت قصف المدافع والجيوش المعبأة تمارس الضغط عليه. وإن حُلَّت هذه المشاكل عاجلاً أم آجلاً، فمن المعقول أن يُتصدى الى الحلّ قبل أن يرسل ملايين الرجال الى حتوفهم ويحيق الدمار بالبلايين من الثروات. إن إستمرار الوضع الراهن في الغرب غير معقول وسيطلب كل يوم تضحيات متزايدة... ستبعثر ثروات القارة الأوروبية وتبذر في عمل القنابل وتمتص قوى الشعوب مصاً في سوح القتال...

هناك أمر اكيد واحد، في مجرى تاريخ العالم لم يخرج منتصران في معركة واحدة، لكن الخاسرين كثيرون. وعسى أن يدلي بالجواب أولئك الناس الذين هم وزعماءهم يعتقدون هذه الفكرة. وليرفض يدي الممدودة هذه أولئك الذين يرون في الحرب أفضل حل.

كان يشير الى چرچل:

"وإن تغلبت آراء السادة چرچل واتباعه، فتصريحي هذا سيكون الأخير وسنقاتل... لن يكون ثم تشرين ثانٍ آخر (١٩١٨) في تاريخ ألمانيا.

بدا لي كما دوّنت في مذكراتي عند عودتي من الرايخشتاغ، أن من المشكوك فيه جداً ان يصغي